ĪQĀN Vol.: 07, Issue: 02, Dec-2024

eISSN: 2617-3336
pISSN: 2617-3700

دراسة مقارنة في التراجم الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم: تحليل تركيبي دلالي لسورة الفاتحة ومطلع سورة آنموذجًا

A Comparative Study in English Translations of the Meanings of the Noble Qur'an: A Semantic Synthetic Analysis of Surat Al-Fatihah and the Beginning of Surat as a Model

Dr. Lubna Farah[1], Dr. Abdurrehman Mudassir[2] <lfarah@numl.edu.pk>

[1] *Assistant Professor, Department of Arabic Language, National University of Modern Languages, Islamabad*

[2] *Assistant Professor, Department of Islamic Studies, Riphah International University Faisalabad Campus*

DOI: https://doi.org/10.36755/iqan.v7i2.463

ABSTRACT

This study aimed to highlight the rules governing the translation of the Holy Qur'an and to present the views of scholars on the subject, both in the Arab world and globally. It also examined the development of Qur'anic translation in modern times. The study emphasized the importance of translating the meanings of the Holy Qur'an into all languages, to facilitate understanding for non-Arabic-speaking Muslims and to serve English-speaking communities. However, it acknowledges that no matter how accurate a translation may be, it will inevitably fall short of fully conveying the profound meanings contained in the miraculous Qur'anic text.

The research also addressed the major challenges and difficulties encountered in translating the meanings of the Qur'an, as well as the essential features and conditions required for all types of translation. It reviewed the differing opinions of scholars from the four major Islamic schools of thought—Hanafi, Maliki, Shafi'i, and Hanbali—regarding the permissibility and rules of translating the Qur'an. Additionally, the study discussed contemporary Muslim scholars' perspectives on the translation of the Qur'an, including the views of the Sheikh of Al-Azhar and Sheikh Ahmed Mustafa Maraghi.

Based on the findings, the researcher recommended the establishment of educational centers dedicated to teaching Arabic as a foreign language. Furthermore, it is essential to develop practical proposals to overcome the difficulties in teaching Arabic to non-native speakers, utilizing modern methods from the early stages of learning and book development.

Received: 26-May-25
Accepted: 19-Jan-25
Online: 25-Jan-25

KEYWORDS

Translation And Interpretation Translation of the Meanings of The Holy Quran, Cultural Challenges in Translation, Translation and Communication, Classical Arabic, The Holy Quran, Surat Al-Baqarah

منذ أن ختم الله تعالى الأديان كلّها بالإسلام، وختم الرسل والأنبياء بمحمد بن عبد الله ﷺ، وختم الكتب السماوية بالقرآن الكريم، أصبح هذا الكتاب العظيم موضع اهتمام بالغ لدى المسلمين وغير المسلمين على حد سواء؛ إذ شُغف به العلماء والمفكرون بالتفسير والتحليل، وسعوا جاهدين إلى فهمه، والوقوف على أسرار تأثيره في النفوس[1].

ولا شك أن الإسلام، منذ بزوغ فجره، واجه تحديات جسامًا من أعدائه، من الكفار والمشركين والمنافقين، ومن اليهود والنصارى والصهاينة والصليبيين والمستشرقين والغربيين. وقد تعددت صور الهجوم، فكان منها الغزو العسكري، ومنها الغزو الفكري، الذي استمر وتطور بأساليب شتى حتى يومنا هذا. حيكت المؤامرات ضد الإسلام عبر العصور، ولا تزال تُحاك، إلا أن الله سبحانه وتعالى تولّى حفظ هذا الدين، وصانه من كل سوء ومكيدة، كما قال جل شأنه :**(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)**[2]

وقد اشتد أوار الغزو الفكري خاصةً منذ القرن الثامن عشر ـ الميلادي، حيث لجأ أعداء الإسلام، وخصوصًا من الغربيين الحاقدين، إلى وسائل ماكرة للطعن في الإسلام، وكان من أبرزها المساس بالقرآن الكريم عبر ترجمات منحرفة لمعانيه، توافق أهواءهم ومعتقداتهم الزائغة. فحاولوا من خلالها تشويه صورة الإسلام، والتشكيك في حقائقه، والإيحاء بوجود النقص فيه - زعمًا باطلاً لا أساس له[3].

ولهذا أقبلوا على دراسة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتراث الإسلامي بصفة عامة، دراسة عميقة، كتبوا فيها البحوث، وألفوا المؤلفات، ليس بغرض الفهم والتقارب، بل في محاولة خبيثة للنيل من الإسلام، ونبيه الكريم، وكتابه، ومبادئه وتعاليمه.

ومن الوسائل المهمة في نشر المعرفة الشرعية: ترجمة معاني النصوص الإسلامية من اللغة العربية إلى لغات أخرى، ليصل هذا النور إلى من لا يتحدثون العربية، سواء من المسلمين أو من غيرهم. وتُعرف هذه الوسيلة بالنقل والترجمة، وهي أداة فعالة إن حُسِن استخدامها وضُبطت بضوابط العلم والأمانة في علم الترجمة، تُعد سورة البقرة من أطول سور القرآن الكريم، حيث تتكوّن من ٢٨٦ آية، وتمتدّ على ما يزيد عن جزءين ونصف. وتتميّز هذه السورة باحتوائها على عدد كبير من الأحكام الشرعية المتعلقة بالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد في سبيل الله. وهي من السور المدنية، وقد وردت أحاديث نبوية عديدة في فضل قراءتها والعمل بما جاء فيها.

في هذا السياق، يتناول الباحث في دراسته ترجمة الأفعال الواردة في القرآن الكريم، مع التركيز على أفعال الأمر في سورة البقرة. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة تهدف إلى تحقيق هدفين رئيسيين: الأول، التعرّف على الكلمات المُختارة لترجمة أفعال الأمر؛ والثاني، تحليل الطرق المتبعة في ترجمة هذه الأفعال بين نسختين مختلفتين من الترجمات.

أهمية ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ومفهومها

مفهوم ترجمة القرآن الكريم

عند الحديث عن ترجمة القرآن الكريم، لا يُقصد بها نقل النص القرآني إلى لغة أجنبية ترجمة حرفية، بحيث يُستبدل النص العربي بالنص المترجم. بل المقصود هو ترجمة معاني القرآن الكريم، وشرحها وتوضيحها بلغة أخرى، كوسيلة لتمكين غير الناطقين بالعربية من فهم معاني الآيات، والتدبر في أحكام الشريعة التي يتضمنها النص القرآني.

[1] الاستشراق والقرآن الكريم : ا.د / على بن إبراهيم النملة ، صـ ١٩٨ .

[2] سورة الحجر: ٩

[3] ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين فيها: م / شاكر عالم شوق صـ ٥٧.

وقد أجمع علماء الإسلام على أن ترجمة القرآن ليست قرآناً بذاتها، وإنما هي تفسير لمعانيه، يُقصد بها تقريب الفهم لمن لا يعرفون اللغة العربية. فالنص الأصلي الموحى به من الله تعالى باقٍ باللغة العربية، وهو وحده الذي يُتلى في الصلاة ويُعد قرآناً.

وفي هذا السياق، قال الإمام النووي رحمه الله: "ترجمة القرآن ليست قرآناً بإجماع المسلمين، ومحاولة إقامة الدليل على خلاف ذلك تكلّف، إذ لا خلاف بين المسلمين أن من عبّر عن معاني القرآن باللغة الهندية - على سبيل المثال - فإن ما نطق به لا يُعد قرآناً، ومن زعم غير ذلك كان معانداً جاحداً. فكما أن شرح شعر امرئ القيس ليس هو نفسه شعره، فكذلك تفسير القرآن لا يكون قرآناً."

لقد اشتد أوار الغزو الفكري واشتعلت نيرانه منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وكانت من أبرز وسائله وأساليبه التي انتهجها دعاة هذا الغزو من الغربيين الحاقدين على الإسلام والمسلمين، التشكيك في القرآن الكريم عبر ترجمات لمعانيه صيغت وفق أهوائهم ومقاصدهم المغرضة. فقد عمدوا إلى تشويه صورة الإسلام، وتصويره على أنه دين ناقص متناقض، ونسبوا إليه ما ليس فيه من الضعف والخلل، زعمًا وافتراءً.

ومن أجل تحقيق مآربهم، أولى أولئك الباحثون عناية خاصة بدراسة القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراث الإسلامي عامة، فلم يتركوا بابًا من أبواب الدراسات الإسلامية إلا طرقوه، وألّفوا فيه الكتب، ونشروا البحوث، في محاولة منهم للطعن في الإسلام، والتشكيك في نبيه، وكتابه، ومبادئه، وتعاليمه.

ومن الوسائل المشروعة لنقل المعلومة الشرعية ونشرها: الترجمة اللغوية من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى، سواء لمخاطبة المسلمين غير الناطقين بالعربية، أو للتعريف بالإسلام لدى غير المسلمين. وتُعدّ هذه الوسيلة من أهم أدوات التبليغ والدعوة، ويُطلق عليها "النقل والترجمة."

الترجمة: ماهيتها وكيفيتها[٤]

يعرف "فورستر" الترجمة الجيدة بأنها: "الترجمة التي تحقق الغرض نفسه في اللغة الجديدة كما فعل النص الأصلي في لغته التي كُتب بها."

أما "أور" فيشبّه عملية الترجمة إلى حدٍّ ما بعملية الرسم، فيقول: "الرسام لا ينقل كل تفصيل في المنظر، بل ينتقي ما يراه الأفضل بالنسبة له." وينطبق الأمر ذاته على المترجم؛ فهو لا ينقل المعنى الحرفي فقط، بل يسعى لتجسيد روح النص في ترجمته.

ويؤيد "إدواردز" هذا الرأي، فيقول: "نحن لا نطلب دقة حرفية مطلقة في الترجمة، بل نبحث عن أقرب إحساس صادق ممكن يعكس النص الأصلي. يجب أن تصل إلينا الصفات والظلال والانطباعات التي كانت في ذهن الكاتب وقلبه، لا بالضرورة بنفس الدقة التي تفوّه بها، ولكن بروحها."

ويطالب معظم الباحثين في علم الترجمة بالتركيز على المعنى لا على الألفاظ الحرفية، إذ إن الترجمة تفقد وظيفتها التواصلية إذا لم يكن لها معنى واضح لدى المتلقي، ومن ثم فإنها لا تبرر وجودها.

وإلى جانب نقل المعنى، ينبغي أن تنقل الترجمة أيضًا روح النص وأسلوبه.

فالمعنى الحرفي يقتل الترجمة، أما روح المعنى فهي ما يمنحها الحياة. وتكمن الزلّة الكبرى التي يقع فيها الكثير ممن يترجمون الأدب في عجزهم عن التعبير بشكل "طبيعي"، إذ يجعلون القارئ واعيًا دائمًا بأن ما بين يديه ليس إلا ترجمة. فهم يستهلكون جلّ جهدهم في البحث عن مكافئات لفظية قد تكون غير مألوفة أو غير مستخدمة في اللغة الهدف، مما يفقد الترجمة روحها وسلاستها.

ولهذا يرى "غودسبيد" أن: "أفضل الترجمات ليست تلك التي تذكّر القارئ باستمرار بأنها ترجمة، بل تلك التي تجعله ينسى تمامًا أنها ترجمة، وتُشعره كما لو كان يتأمل مباشرةً في عقل الكاتب الأصلي، تمامًا كما لو كان يقرأ عملًا إبداعيًا بلغته."

مفهوم الترجمة - من الناحية اللغوية:

[٤] انظر كيف تترجم : محمد حسن يوسف : ط ١حص١٣ : ١٥

جاءت كلمة "الترجمة" في اللغة العربية بعدّة معانٍ، من أبرزها أربعة[٥]:

١. تبليغ الكلام لمن لم يبلغه، ومن ذلك قول الشاعر:

> إن الثمانين وبلغتها

قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

أي أن ضعف السمع الناتج عن الشيخوخة استدعى وجود من يبلّغه الكلام.

٢. تفسير الكلام بلغته الأصلية، ومن ذلك ما قيل عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "إنه ترجمان القرآن"، أي مفسّره وشارحه بلغة العرب.

٣: تفسير الكلام بغير لغته الأصلية

جاء في القاموس المحيط أن "الترجمان هو المفسر للكلام"، وفي الصحاح ورد: "ترجم الكلام إذا فسّره بلسان آخر[٦]".

٤: نقل الكلام من لغة إلى أخرى

جاء في لسان العرب: "الترجمان، بالضم والفتح، هو الذي يُترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى[٧]".

وفي تاج العروس قيل: "نقله من لغة إلى لغة أخرى"، ويُقال: "ترجم كلامه" أي فسّره بلغة غير لغته، و"ترجم كلام غيره" كذلك.

أما في المصباح المنير فقد ورد: "يُقال: ترجم الكلام إذا بيّنه وأوضحه، أو نقله من لغة إلى أخرى، ومنه الترجمان".

الترجمة في العالم القديم:

تعود أقدم آثار الترجمة إلى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، في عهد المملكة المصرية القديمة، وتحديدًا في منطقة الشلال الأول، حيث عُثر على كتابات بلغتين. وقد أصبحت الترجمة عنصرًا مهمًا في الغرب حوالي عام ٣٠٠ قبل الميلاد، عندما بدأ الرومان في استيعاب عناصر من الثقافة الإغريقية، شملت هذه العناصر النظام الديني بأكمله.

ويُعد حجر رشيد من أشهر أعمال الترجمة التي وصلت إلينا من العالم القديم، ويليه في الشهرة ألواح الحيثيين، ورسائل تل العمارنة، ثم ألواح مدينة نينوى. ومن الواضح أن جزءًا من عمل المترجمين القدماء كان يتمثل في جمع وتصنيف قوائم بالكلمات المتقابلة بين اللغات المختلفة. وقد حُفظت بعض هذه المعاجم على ألواح طينية مكتوبة بالخط المسماري، واكتُشفت في مواقع أثرية تعود إلى فترات تاريخية متعددة[٨].

الترجمة عند العرب:

لم يكن العرب في جاهليتهم منعزلين عن العالم، بل تواصلوا مع الشعوب المجاورة ماديًا وأدبيًا من خلال عدة وسائل، أبرزها التجارة. فقد كانت القوافل التجارية تضم مترجمين يجيدون لغات الشعوب التي يتعاملون معها، وكانوا بمثابة وسطاء للتفاهم بين التجار العرب والأجانب. ومن خلال هؤلاء المترجمين، تسربت إلى العربية في الجاهلية العديد من الكلمات الفارسية والرومانية والمصرية والحبشية.

ومع انتشار الإسلام وفتوحات العرب لبلاد الفرس ومستعمرات الروم، تسربت الحضارة الفارسية والرومانية إلى العالم الإسلامي عبر قنوات متعددة، من أهمها حركة الترجمة. وقد شجع النبي محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه على تعلم اللغات الأجنبية، فقد روي في كتاب حياة الصحابة لمحمد

---

[٥] مباهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني - ج ٢ ، ص ٣

[٦] القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، ص ٨٤

[٧] اللغة العربية: محمد بن مكرم في منظور، المجلد الأول. ٢، ص. ٢٦

[٨] الترجمه : د/ جمال النوبي ، مصدر سابق ن ص ٧

يوسف الكاندهلوي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تتعلم كتاب العبرانية؟" أو قال: "السريانية؟" فقلت: نعم، فتعلمتها في عشرة أيام. وقد بدأت نواة حركة الترجمة في العصر الأموي، لتتطور لاحقًا في العصر العباسي وتبلغ أوجها[٩].

شروط الترجمة:[١٠]

أجمع الباحثون والمهتمون بمجال الترجمة على أنها عملية تتطلب ممارسة مستمرة وتدريباً دائماً لصقل مهارات المترجم وتطوير قدراته. ومن هذا المنطلق، لا بد من توفر الشروط التالية في المترجم:

١. إتقان اللغة المصدر التي يُنقل منها، واللغة الهدف التي يُنقل إليها، أي الإلمام التام بقواعد وأوضاع كلتا اللغتين: لغة الأصل ولغة الترجمة.
٢. إجادة القواعد اللغوية لكلا اللغتين، وفهم خصائصها الأسلوبية والتركيبية.
٣. التمتع بثقافة واسعة تشمل مختلف فروع المعرفة، مع التخصص في بعض المجالات، والتمكن من مصطلحاتها ومفرداتها.
٤. الالتزام بالأمانة في نقل المعنى، وضمان الوفاء بجميع أفكار ومعاني النص الأصلي، مع التعبير عنها بوضوح وفهم في اللغة الهدف.
٥. أن تكون صياغة الترجمة مستقلة عن النص الأصلي، بحيث تُصاغ بأسلوب سليم يتناسب مع اللغة الهدف دون التقيد الحرفي بالبنية الأصلية.

لعل من أبرز الأسباب التي دفعت إلى اختيار هذه الترجمات دون غيرها، هو التباين في خلفيات المترجمين ومواقفهم من الإسلام، مما يعكس تنوعاً في المقاربات لفهم النص القرآني وتقديمه للقارئ غير العربي. الترجمة الأولى تعود للقس الألماني رودولف، وهي ترجمة تعكس نظرة الكنيسة الغربية تجاه الإسلام. فقد انطلقت من خلفية لاهوتية تهدف إلى التشكيك في أصل القرآن الكريم واعتباره مجرد تجميع من التوراة والإنجيل، لا وحياً إلهياً مستقلاً. ومن هنا، اتسمت ترجمته بنبرة عدائية، تسعى إلى إثبات أن الإسلام ليس ديانة سماوية مكتملة، بل مزيج غير متجانس من مصادر سابقة. الترجمة الثانية قام بها مستشرق بريطاني معتدل، يتمتع بخبرة واسعة في اللغة العربية والفارسية، وله دراسات معمقة عن الحضارة الإسلامية. على الرغم من خلفيته المسيحية، إلا أنه أبدى موضوعية أكبر في تناوله للقرآن، مما أكسب ترجمته احترام عدد كبير من الباحثين والمستشرقين، لاسيما أولئك المهتمين بفهم الإسلام من منظور علمي وأكاديمي لا ديني صرف.

أما الترجمة الثالثة، فهي للمفكر المسلم عبدالله يوسف علي، البريطاني من أصول هندية، والذي نشأ في بيئة إسلامية شيعية، وتعلم اللغة العربية منذ صغره. أجاد الإنجليزية بطلاقة، ودرس الأدب الإنجليزي في أرقى الجامعات البريطانية، ما مكنه من المزج بين المعرفة الإسلامية العميقة والقدرة الأدبية على التعبير بالإنجليزية. وقد تميزت ترجمته بعرض النص القرآني العربي إلى جانب ترجمته الإنجليزية، مرفقاً بتفسير وشروح سياقية، الأمر الذي جعل ترجمته مرجعاً هاماً للمسلمين وغير المسلمين الناطقين بالإنجليزية، وساهم في تقديم صورة متوازنة ومعمقة للقرآن الكريم.

لعل أول ما ينبغي التطرق إليه في هذا السياق هو كيفية تعامل هؤلاء المترجمين مع النص القرآني باللغة العربية. فعلى سبيل المثال، رأى القس رودول أن هناك خللًا جسيمًا في ترتيب سور القرآن الكريم، واعتبر أن المزج بين السور المكية والمدنية قد أدى إلى استحالة تتبع تسلسل الأحداث وفهمها على نحو دقيق. ولذلك قام في ترجمته للقرآن بوضع ترتيب جديد ومغاير لما هو عليه في المصحف الشريف؛ فجعل بداية القرآن بسورة العلق، تليها سورة المدثر، بينما جاءت سورة الفاتحة في الترتيب الخامس، وسورة البقرة في المرتبة الحادية والتسعين، أما سورة المائدة فقد وضعها في نهاية ترجمته. ويمكن الرجوع إلى ملحق الترتيب الذي اعتمده رودول للاطلاع على التفاصيل. غير أن ما غاب عن فهم القس المترجم هو أن ترتيب سور القرآن الكريم وآياته في المصحف لم يكن اجتهادًا بشريًا، وإنما كان وحيًا من الله إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أما ترتيب النزول فقد جاء متسقًا مع مجريات الأحداث والوقائع

[٩] تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية : د/ جمال الدين الشمال ، ص ٤

[١٠] انظر ترجمه معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين فيها : م / شاكر عالمشوق مصدر سابق، ص ٦٠.

التي واجهها النبي وأصحابه. فعلى سبيل المثال، كانت أول آية نزلت على النبي هي قوله تعالى: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (**سورة العلق**)، إلا أن ترتيبها في المصحف يأتي متأخرًا، وفقًا لما أوحى به الله سبحانه وتعالى.

سماء سورة الفاتحة:

سورة الفاتحة هي أول سورة في المصحف الشريف، وقد أجمع العلماء على أن عدد آياتها سبع، وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مئة وثلاثة وعشرون حرفًا. وتُعدُّ سورة الفاتحة السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تجاوز عدد أسمائها العشرين[١١]، بل أوصلها بعض العلماء إلى نحو ثلاثين اسمًا. وقد قال الإمام السيوطي رحمه الله: "وقفت لها على نيفٍ وعشرين اسمًا، [١٢]وذلك يدلّ على شرفها، فإن كثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمى." ومن هذه الأسماء: الفاتحة، أم الكتاب، السبع المثاني، القرآن العظيم، الحمد، الشفاء، الرقية، الأساس، وغيرها كثير.

١. قائمة الكتاب
٢. فاتحة القرآن
٣. أم الكتاب
٤. أم القرآن
٥. السبع المثانية وسميت بهذا الاسم لأنها التي في الصلاة، أو أنزلت مرتين[١٣]
٦. القرآن العظيمة وسميت بهذا لاشتمالها على المعاني الواردة في القرآن الكريم [١٤]
٧. الصلاة، وسميت بهذا الاسم لتوقف الصلاة عليها، أو أنها من لوازمها
٨. الحمد
٩. الوافية، وملميت بهذا الاسم لأن تبعيضها لا يجوز، ولاشتمالها على المعاني الواردة في القرآن الكريم
١٠. الكاز
١١. الشافية
١٢. الشقاء
١٣. الراقية
١٤. الكافية وسميت بهذا الاسم لأنها تكفى في الصلاة من غيرها ولا يكفي عنها عبر ها
١٥. الأسامة ومميت بهذا الاسم لأنها أصل القرآن وأول سورة فيه

---

[١١] تفسير سورة النور، د. إبراهيم خليفة، نقًلا عن: السورة القرآنية، د. عبد البديع أبو هاشم، بحث في: الموسوعة ،القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣-م، ص٢٢١ و٢٢٢

[١٢] صحيح البخاري (الحديث رقم ٧٣٥).

[١٣] لبرهان في علوم القرآن، /١ ٢٧٠

[١٤] الإتقان في علوم القرآن، /١ ١٥٤

الصيغة اللغوية لكلمة "الفاتحة":

وردت كلمة "الفاتحة" في الحديث النبوي الشريف في تركيب إضافي هو "فاتحة الكتاب"، حيث أضيفت كلمة "فاتحة" إلى "الكتاب". ومن ذلك ما ورد في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب". وقد جاء استخدام هذه الكلمة للدلالة على السورة الأولى في القرآن الكريم، كونها افتتاحًا له وبداية، مما ينسجم مع المعنى اللغوي للصيغة "فَاعِلَة"، التي تدل غالبًا على من قام بالفعل أو ما كان سببًا فيه، وهنا جاءت بمعنى "البادئة" أو "المبتدئة"[١٥].

ومن الملفت أن صيغة "الفاتحة" لم تشترك في جذرها اللغوي (ف-ت-ح) مع سور القرآن الكريم إلا مع سورة "الفتح". وتُشير الصيغة إلى أول الشيء، أي بدايته، وذلك يتفق مع المعنى العام للسورة، فهي تفتتح بها الصلاة وتُفتتح بها التلاوة. وقد ذهب بعض اللغويين إلى أن "الفاتحة" هي مصدر على وزن "فاعلة"، على نحو ما يُسمى تسمية المفعول بالمصدر، أي أن ما يُفتتح به يُسمى "فاتحة". إلا أن هذا الرأي يُعد محل خلاف، إذ يرى أبو البقاء الكفوي أن صيغة "فاعلة" نادرة الاستخدام في المصادر، لذا رجّح أن تكون "الفاتحة" صفة، ثم نُقلت إلى الاسمية. وأشار الكفوي إلى أن الأفضل اعتبار "الفاتحة" صفة، باعتبار أن السورة الأولى تمثل السبب والباعث على الفتح (أي القراءة والبدء)، وهو ما يجعل التعلق بها ضرورة. وأما التاء في آخر الكلمة، فرأى أنها قد تكون لتأنيث الموصوف المحذوف (مثل "القطعة الفاتحة")، أو أنها لنقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية، دون أن تدل على المبالغة، نظرًا لندرة ذلك في مثل هذه الصيغ[١٦].

الرأي في كلمة "الفاتحة": دراسة لغوية دلالية

ذهب بعض النحاة إلى أن كلمة **"الفاتحة "هي اسم فاعل** من الفعل الثلاثي "فتح"، وقد لحقت بها **هاء التأنيث** للنقل من الوصفية إلى الاسمية. أي أن الكلمة، بحسب هذا الرأي، لم تعد تصف من تقوم بالفعل (الفتح)، بل أصبحت **اسمًا يدل على ذات معينة** .يشبه هذا التحول ما نجده في كلمة **"الغاشية "**في قوله تعالى:

"وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين)" الأنعام: ٧٥

وكذلك في كلمة **"العافية"**، التي لم تعد تعني فقط "التي تتصف بالعافية"، بل أصبحت **علمًا** على حالة معروفة محددة، فانتقلت بذلك من الصفة إلى الاسمية.
وبناءً على هذا الرأي، فإن "الفاتحة" تعني **"السورة التي يُفتتح بها القرآن"**، لا باعتبارها من قامت بفعل الفتح في زمن معين، بل باعتبارها عنوانًا ثابتًا لسورة مخصوصة.

الرأي الذي يطمئن إليه الباحث:

يرى الباحث أن كلمة **"الفاتحة "**ليست مجرد **اسم فاعل**، بل هي في الحقيقة **صفة مشبهة باسم الفاعل**، وإن جاءت على وزن "فاعلة"، وهو الوزن القياسي لاسم الفاعل من الثلاثي المجرد.
والفرق الجوهري بين **اسم الفاعل** و**الصفة المشبهة** يكمن في **الدلالة الزمنية**:

---

[١٥] منظور، تحقيق: عبد الله عليّ الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، (/٥ (3337 [، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠١هـ١٩٨١-م، مادة (ف ت ح

[١٦] تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، (/١ ١٣١)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

- فـ **اسم الفاعل** يدل على الحدوث، أي على وقوع الفعل في زمن معيّن، دون أن يحمل دلالة على الاستمرار أو الثبات[١٧].
- أما **الصفة المشبهة**، فتدل على **ثبوت المعنى ودوامه**، إذ تصف الذات بصفة ملازمة لا ترتبط بزمن محدد.

ولكي تُعد الكلمة **صفة مشبهة**، لا بد من تحقق أربعة شروط:

١. أن تحمل **معنًى وصفيًا مجردًا**.
٢. أن يتعلق هذا المعنى **بذات معينة**)شخص أو شيء.(
٣. أن يكون هذا المعنى **ثابتًا عبر الأزمنة**، غير مرتبط بزمن حدوثه.
٤. أن تكون هذه الصفة **ملازمة** لتلك الذات، لا طارئة أو مؤقتة.

وبتطبيق هذه الشروط على كلمة **"الفاتحة"**، نجد أنها:

- تحمل معنًى وصفيًا يدل على الافتتاح.
- ترتبط بسورة معينة في القرآن الكريم.
- لا يقتصر معناها على زمن بعينه، بل هو ثابت ودائم.
- تُلازم تلك السورة بوصفها **الافتتاح الدائم للقرآن**.

وعليه، فإن "الفاتحة" لا تُفهم على أنها "التي فتحت" في لحظة معينة، بل هي **السورة التي يُستفتح بها القرآن دومًا**، وهذا ما يجعلها أقرب إلى **الصفة المشبهة** منها إلى **اسم الفاعل**.

دلالة اسم "الفاتحة":

يرتبط اسم الفاتحة بالمعنى اللغوي لجذر "فَتَحَ"، الذي يدل على نقيض الإغلاق. وعلى الرغم من أن اسم "الفاتحة" لم يرد في متن السورة نفسها، إلا أنه ارتبط بها من حيث المعنى؛ فهي أول ما يُفتتح به المصحف الشريف، ولذلك سُميت الفاتحة، أي المبدوء بها.

وقد ذكر الإمام السيوطي أن من أسباب تسميتها بهذا الاسم أنها تُفتتح بها المصاحف، ويبدأ بها التعليم، وتُقرأ في بداية الأمور المهمّة، كما تُفتتح بها الصلوات. وكان من المناسب أن تُبدأ بها سور القرآن الكريم، لأن المعاني التي تتضمنها تمثل خلاصة لمضامين القرآن كله.

ففيها تعليم للعباد التيمن والتبرك باسم الله الرحمن الرحيم في مطلع الأمور، وتوجيهٌ إلى شكر نعم المنعم، والتوكل عليه في طلب الرزق، وتقوية رجاء العبد في رحمة الله تعالى، والتنبيه إلى يوم الحساب والجزاء، والدعوة إلى إخلاص العبودية لله دون شريك، وطلب التوفيق والعصمة منه، والاستعانة به في أداء العبادات، والثبات على طريق أوليائه الصالحين، والرغبة في اتباع نهجهم، والاحتماء من طريق المغضوب عليهم والضالين[١٨].

وقد أوضح الشيخ محمد عبده أن سورة الفاتحة اشتملت على مجمل ما ورد في القرآن الكريم، فهي تضم خمس قضايا كبرى تشملها آياته، وهي:

١. التوحيد: كما في قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين)، الذي يتضمن الإقرار بأن الله وحده هو المتصرّف في الكون بالإيجاد والإمداد والإسعاد.
٢. العبودية الخالصة: كما في قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين)، وهو ما يقتلع جذور الشرك والوثنية، إذ يقرر أن الله وحده هو المستعان به في قضاء الحوائج دون اتخاذ أولياء من دونه.

وهكذا تُعد الفاتحة بحق مقدّمة جامعة لمعاني القرآن، ومدخلاً مباركًا إلى هداه[١٩].

---

[١٧] النحو الوافي، عباس حسن، (/٣ ٢٨١و٢٨٢)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م.

[١٨] القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (/٣ ٤٠٢)، دار الكتب العلمية، بيروت،]141936 [هـ١٩٩٨-م

[١٩] سنى في شرح أسماء الله الحسنى، القرطبي، تحقيق: د. محمد حسن جبل، (/١ ٢٢٠)، دار الصحابة للتراث،]٣٥ [طنطا، ١٤١٦هـ١٩٩٥-م . تفسير القرآن العظ

مشتقات مادة "فتح" في القرآن الكريم

عند تتبّع مشتقات مادة "فتح" في سور القرآن الكريم، يتّضح تنوع الأشكال والصيغ التي وردت بها هذه المادة، مما يعكس غنى السياق القرآني ودقّته في استخدام الألفاظ.

الفعل الماضي: ورد الفعل الماضي من مادة "فتح" في ١٢ آية، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٦).

الفعل المضارع: جاء الفعل المضارع من هذه المادة في ٥ آيات، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (فاطر: ٢).

فعل الأمر: ورد فعل الأمر بصيغة الدعاء في آيتين، يدلّ فيهما على التوجّه إلى الله عز وجل بالدعاء، منها: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف: ٨٩).

المصدر (فتح): جاء المصدر "فتح" من الفعل الثلاثي "فتح" في ١٢ موضعًا، منها قوله تعالى:﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ (النساء: ١٤١).

اسم المفعول (مفتحة): وردت صيغة اسم المفعول مرة واحدة، بصيغة "مُفَتَّحَةً"، وهي من الفعل المزيد بالتضعيف، لتدل على التكثير، كما في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ (ص: ٥٠)، أي تُفتح لهم الأبواب دون عناء أو جهد.

صيغة المبالغة (الفتاح): جاءت مادة "فتح" بصيغة "فعال"، وهي صيغة من صيغ المبالغة، وردت في اسم من أسماء الله الحسنى، وهو "الفتاح"، كما في قوله تعالى:

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (سبأ: ٢٦).

اسم الفاعل (الفاتحين): وردت صيغة اسم الفاعل "الفاتح" بصيغة جمع المذكّر السالم "الفاتحين"، كما في قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف: ٨٩).

وهكذا نرى أن مادة "فتح" وردت بأشكال مختلفة في القرآن الكريم، لتعكس معاني متعددة كالنصر، القضاء، الدعاء، والرحمة، وكلها تشير إلى القدرة الإلهية على فتح الأبواب المغلقة، سواء كانت مادية أو معنوية.

دلالات الكلمات المشتقة من "فتح" في القرآن الكريم:

يدلُّ المعنى الأساسي لكلمة "فتح" في اللغة على إزالة الإغلاق، ومن هذا المعنى تنبثق معانٍ إضافية تتصل بالسياق الذي ترد فيه الكلمة. ويتميّز المعنى الإضافي بأنه غير مغلق وغير نهائي، على خلاف المعنى الأساسي الثابت. ومن الممكن أن يتغيّر هذا المعنى الإضافي ويتطوّر، مع بقاء المعنى الأصلي على حاله. لهذا نجد أن النص القرآني يتميّز بثراء دلالي، إذ لا يُفهم معنى الكلمة فيه من المعجم وحده، بل من خلال سياقها داخل الآية[٢٠].

ومن هنا، نجد أن معنى كلمة "فتح" يختلف باختلاف السياق القرآني والصيغة التي وردت بها.

وتُعدّ مادة "فتح" في القرآن الكريم ثرية بالدلالات، إذ تتنوع بحسب السياق. وقد جمع الراغب الأصفهاني في كتابه "المفردات"، والفيروزآبادي في "بصائر ذوي التمييز"، أبرز هذه الدلالات. ومن أهمها:

---

[٢٠] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: سيد محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د. ت،]٣٨ [ص٣٧٠ و٣٧١، وبصائر ذوي التمييز، ٤/ ١٦١-١٦٥

١. الفتح بمعنى إزالة الإغلاق:

ويأتي على وجهين:

حسيّ يمكن أن تراه العين، مثل فتح المتاع، كما في قوله تعالى:

"وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ" (يوسف: ٦٥).

معنوي تدركه البصيرة، كفتح أبواب الخيرات، في قوله تعالى:

"وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" (الأعراف: ٩٦).

يتبيّن من هذه المقالة وجود اختلاف بين العلماء حول أسماء سور القرآن الكريم، وهل هي توقيفية أم اجتهادية. ومع ذلك، ثبت في السنة النبوية ذكر أسماء بعض السور، ومن أبرزها سورة الفاتحة. ويتضح أن سورة الفاتحة هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تجاوز عدد أسمائها عشرين اسمًا، بل أوصلها بعض العلماء إلى نحو ثلاثين اسمًا. وقد استقر اسم "الفاتحة" في المصحف العثماني، ربما لارتباطه الوثيق بمقاصد هذه السورة الكريمة التي تفتتح بها المصاحف، وتلخص في معانيها الإجمالية ما ورد مفصلًا في سائر القرآن الكريم.

كلمة "الفتح" تدل على نقيض الإغلاق، ولم تشترك في مادتها اللغوية مع سورة الفاتحة سوى سورة واحدة، وهي سورة الفتح. وقد اختلف العلماء في تفسير صيغة كلمة "الفاتحة"، فذهب بعضهم إلى أنها مصدر بمعنى "الفتح"، بينما رأى آخرون أنها صفة، في حين رجّح فريق ثالث أنها اسم فاعل. وأوضح الباحث أن اسم "الفاتحة" ينطبق عليه شروط الصفة المشبهة.

كما تشير المقالة إلى أن اسم "الفاتحة" لم يرد في متن السورة نفسها، لكنه ارتبط بها من حيث المعنى والدلالة على الافتتاح. وتبيّن أن مشتقات مادة "فتح" في القرآن الكريم جاءت بصيغ متنوعة، فقد ورد الفعل الماضي في ١٢ آية، والفعل المضارع في ٥ آيات، وفعل الأمر الدال على الدعاء في آيتين، والمصدر في ١٢ آية، واسم المفعول في آية واحدة، وصيغة المبالغة في آية واحدة، واسم الفاعل بصيغة الجمع في آية واحدة، كما ورد جمع التكسير بصيغة منتهى الجموع "مفاتيح" في ثلاث آيات.